Remove Watermark Now

الوضع المائي في تركيا والشرق الأوسط والعالم: النظرة التركية والعراقية إلى الماء

ويسل أر أوغلو*

ملخص: يتناول هذا البحث الوضع المائي في تركيا والشرق الأوسط، والنظرة التركية والعراقية إلى الماء بصفته مصدرًا إستراتيجيًّا . وتُعَدّ المياه المسألة الأكثر إستراتيجية في الشرق الأوسط؛ الذي يمتلك المخزون الأكبر من احتياطي البترول العالمي، ولكن من الصعب الإدلاء بالقول نفسه فيما يخصّ للماء، فأوضاع بلاد الشرق الأوسط صعبة للغاية في مصادر الماء، حيث تعاني دول كثيرة مثل مصر وإيران والعراق والأردن والكويت وليبيا والسعودية وتونس والإمارات واليمن والبحرين شحَّ المياه. وقد يجب علينا استخدام الموارد المائية والتكنولوجيا بشكل واعٍ ومشاركتها مع البلدان المحتاجة؛ لكي لا تواجه الأجيال المقبلة مشكلة تأمين المياه، حتى لو لم تكن تشكّل اليوم مشكلة كبيرة بالنسبة لنا. ولا توجد مشكلة إلا ولها حلّ طالما أن هذا الفهم الذي تتبناه تركيا قائمًا.

* مبعوث الرئيس التركي إلى العراق، ووزير المياه والغابات السابق

pdfelement

The Water Situation in Turkey and the Middle East: Turkish and Iraqi View to Water

VEYSEL EROĞLU*

ABSTRACT This article discusses the water situation in Turkey and the Middle East and the Turkish and Iraqi view of water as a strategic source. Water is considered the most strategic issue in the Middle East which has the world's largest reserves of oil. But it is difficult to say the same thing for water. In terms of water resources Middle East countries' situation is very difficult. many countries such as Egypt Iran Iraq. Jordan Kuwait Libya Saudi Arabia Tunisia UAE Yemen and Bahrain suffer from water scarcity. Perhaps we should use water resources and technology consciously and share them with countries in need so that future generations will not face the problem of securing water even if today it is not a big problem for us. There is no problem without a solution as long as this understanding of Turkey continues.

* Turkish President's Special Representative to Iraq. Turkey

رؤية تركية
2019 - (8/4)
23 - 9

 DOI: 10.36360 / 1560- 008- 004 -002

Remove Watermark Now

الماء أمر لا يُستغنَى عنه للكائنات الحية:

الماء مادة ضرورية للحياة، ونعمة لا يمكن أن تستغني عنها الكائنات الحية، فالماء تحتاجه التربة المتشققة بسبب الجفاف، والشجرة العطشانة، والقرنفلة البائسة. إنه صديق الروح للفسيلة المزروعة حديثًا، والحَبّ المنثور على التراب. وإنّ الكوكب الوحيد الذي يحتوي على الماء في الكون هو الأرض. والماء هو المادة الأولى التي يجري البحث في الكواكب الأخرى لاكتشاف الحياة فيها. والماء له دور مركزي في ظهور عقيدة (ماء الحياة) الذي يوفّر الحياة الأبدية. والماء بما يحمله من قدرة خفية على الطهارة والنظافة؛ أصبح رمزًا للحكمة والنقاء والبساطة. والماء مقدّس في كل الأديان، وقد أكّد ربنا سبحانه وتعالى أهمية الماء في العديد من الآيات التي أنزلها، فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء 30]، ومن ثَمَّ فلا يمكن تصوّر حياةٍ بلا ماء. والماء هو أحد أهم الموضوعات التي وردت في الأمثال التركية. فنحن نقول: "افعل الخير وارمه في البحر، إن لم يعرفه السمك فالخالق يعرفه"؛ لأننا نعرف أن الماء محيط بنا من كل جانب، ونعتقد أن الماء سيعود علينا خيرًا وبركة. وللتعبير عن قوة الشخص نقول: "إذا عصر الحجر أخرج منه الماء". ونستفيد من الماء للتعبير عن الشعور العالَمي كالصداقة، فنقول: "الماء الذي نشربه يجمعنا ولا يفرقنا". ومن أمثالنا الشعبية التي تتحدث عن تجارب الماضي: "يأتي بالماء من ألف واد" للتعبير عن صعوبة أمر ما، و"الألم يوقف الألم، والماء يوقف المغص" لتأكيد شفائية الماء. و"القرية المشجرة لا يغمرها الماء"، و"بقطرة فقطرة تتشكل البحيرة". وقولهم: "كن عزيزًا مثل الماء" كلامٌ بليغ بديع يحمل في بيانه أهمية الماء والأماني الجميلة.

الماء والصحة:

الصحّة رأس كل أمر، ورأس الصحّة هو الماء، إذ لا حياة لكائن حي بلا ماء. والماء الذي يصبغ السماء بالألوان السبعة في لوحة رائعة يتحوّل إلى غيث يمنح بوجوده الحياة لجميع الكائنات الحية. والماء يوجد في بنية كلّ كائن حي، فعلى سبيل المثال: يشكل الماء الغالبية العظمى من خلايا الإنسان و70 ٪ من الدماغ و80 ٪ من الدم. وربما يتحمل الإنسان الجوع لمدة شهر، لكنه لا يتحمل العطش لمدة أسبوع. والماء هو "العلاج الشافي" الأكثر مثالية والأكثر طبيعية لأجسامنا، ويزيل التعب من أبداننا ويوفر الراحة النفسية لنا.

الماء والحضارة:

لا يقتصر دور الماء على تطور الإنسان، بل يتعدّاه كذلك إلى تطور الحضارات. فالتاريخ الإنساني في الواقع هو "تاريخ البحث عن الماء" بشكل من الأشكال. فقد سعى الإنسان باستمرار إلى الاستقرار في الأماكن المحيطة بمصادر الماء؛ من أجل تلبية حاجاته من الماء بسهولة.

pdfelement

فالحضارات الكبيرة أُسِّسَت بالقرب من شرايين الحياة والأنهار الكبيرة في العالم، مثل مصر على ضفاف النيل، والهند التي اكتسبت الحياة من الغانج، والصين التي تطورت على امتداد النهر الأصفر.

إنّ الماء دخل في كل شيءٍ من حياتنا، بدءًا من مصر القديمة إلى ملحمة جلجامش، ومن شريعة حمورابي إلى أبيات فضولي، ومن حِكَم قوتادغو إلى الكتب المقدّسة. ومن اللافت للنظر أن أجدادنا جميعًا بدءًا من غوك تورك إلى السلاجقة وصولًا إلى العثمانيين قد وقفوا على الدوام باهتمام بالغ عند ثقافة الماء في أعمالهم الأثرية.

وقد قُدِّم الماء الذي يستخدم بوصفه مصدرًا من مصادر الحضارة إلى المواطنين من خلال مرافق (سبيل) الماء والنوافير و(البحرات) والمناهل والخزانات التي أُقِيمَت في جميع أنحاء الجغرافية العثمانية. وكان من أفضل الأعمال جلب الماء من مكان ما وتوفيره للناس، وقام أهل الخير باستمرار بإنشاء مناهل المياه على طول الأناضول وعرضها.

وحين يصبح الماء وضفافه مهدًا للحضارات، فإن زواله يمهّد الطريق إلى اندثار الحضارات أيضًا. فقد بُنِيَت أقدم الحضارات المعروفة على ضفاف الفرات ودجلة. ويقول علماء الآثار إنّ الجفاف حدث قبل 4200 سنة، وامتد تأثيره مدة 300 سنة، فقضى على حضارة الأكاديين التي كانت من أولى حضارات الشرق الأوسط.

حالة الأمطار والطاقة المائية في تركيا:

مناخ تركيا مناخ شبه جاف، وتوزُّع الهطول فيها غير منتظم. فهناك اختلاف بين معدلات الهطول في إقليم البحر الأسود ومعدلاته في إقليم الأناضول، إذ يبلغ هذا المعدل السنوي في

Remove Watermark Now

بعض المناطق 2.500 ملم، وينخفض في بعض المناطق الأخرى إلى 250 ملم. ويبلغ متوسط الهطول لسنوات طويلة في تركيا 574 ملم، ويبلغ متوسط الهطول في عموم العالم 800 ملم، وكمية الهطول في تركيا أقل من متوسط الهطول في العالم بمقدار 226 ملم سنويًا.

يُقدَّر المتوسط السنوي لمجموع الطاقة المائية السطحية والجوفية القابلة للاستخدام في إطار الظروف التقنية والاقتصادية السائدة في بلدنا بنحو 112 مليار م3 سنويًا. وإذا أخذنا بعين الاعتبار عدد السكان البالغ 81 مليون نسمة، فإن نصيب الفرد من الماء سنويًا هو 1.383 م3. ويمكن استخدام 54 مليار م3 من طاقة 112 مليار م 3 المائية القابلة للاستخدام. يستخدم 74 ٪ منها والبالغ 40 مليار م3 في أعمال الري، ومن هنا فالاقتصاد القائم على الري أمرٌ حيويّ في هذا الصدد. واعتبارًا من سنة 2003 جرى التحوّل في أعمال الري من النظام البدائي المعروف بالنظام المفتوح أو الكلاسيكي إلى النظام المغلق أو الإمطار والتنقيط. يوفّر نظام الري الحديث المذكور هذا سقاية مساحات واسعة بكميات ماء قليلة. فقبل عام 2003، كان معدل 6 ٪ من الأراضي الزراعية تُسقَى بنظام الأنابيب، وارتفع هذا المعدل اليوم إلى 17 ٪. وبهذه الطريقة وُفِّرت نسبة 40 ٪ تقريبًا من كمية مياه الري. ومع زيادة السكان والتطور الصناعي ازداد الطلب على الماء. يُقدَّر أن كمية نصيب الفرد من الماء سينخفض من 1.383 م3 إلى 1.287 م3 في عام 2023، وإلى 1.069 م3 في عام 2050، وإلى 1.040 م3 في عام 2070. وهذه الأرقام تشير إلى قيمة الماء وأهميته وثمنه.

لقد ازداد الإحساس في السنوات الأخيرة بأهمية المياه وزيادة عدد السكان وزيادة كمية المياه المستخدمة للفرد وآثار تغير المناخ، ومن هنا ازدادت أهمية الاستفادة المثلى لمواردنا المائية. فحين كان السيد رئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان رئيس بلدية إسطنبول الكبرى في عام 1994 كلّفني برئاسة مديرية الماء والصرف الصحي في إسطنبول (İSKİ). وقد قمنا من خلال رئاستنا لمديرية الماء والصرف الصحي (İSKİ) بحل مشكلة المياه في إسطنبول. كانت إسطنبول قبل عام 1994 قد تحولت إلى كربلاء تقريبًا، لا يصل الماء إلى بعض المناطق فيها إلا يومًا واحدًا كل أسبوعين. ومن خلال الأعمال التي أنجزناها قمنا بتوفير حاجة إسطنبول من مياه الشرب حتى سنة 2071.

فيما بعد، وفي فترة رئاستي للمديرية العامة لشؤون الماء في الدولة ثم وزارة البيئة والغابات ثم وزارة شؤون البيئة والماء، فكرنا كثيرًا من أجل تطوير مصادر المياه في بلدنا، وأنشأنا العديد من مرافق المياه في البلد. واستثمار تركيا مبلغ 150 مليار ليرة تركية من أجل الماء خلال 16 عامًا الأخيرة يشير إلى الأهمية التي توليها في مسألة الماء. ومنذ عام 2003 وحتى نهاية عام 2018، أنشأنا 7.643 مرفقًا مائيًا في تركيا، مثل السدود والبحيرات، ومرافق الري، ومرافق الحماية من السيول، ومرافق توفير مياه الشرب، ومرافق تنقية مياه الصرف الصحي.

تتوزع المرافق التي دخلت في الخدمة إلى 541 سدًّا، من بينها 534 سدًّا تضم محطات لتوليد الطاقة الكهرومائية. ومن بينها مرافق عملاقة، مثل: سد بحيرة أرتوين الذي

pdfelement

Remove Watermark Now

الصحّة رأس كل أمر ورأس الصحّة هو الماء إذ لا حياة لكائن حي بلا ماء. والماء الذي يصبغ السماء بالألوان السبعة في لوحة رائعة يتحوّل إلى غيث يمنح بوجوده الحياة لجميع الكائنات الحية والماء يوجد في بنية كلّ كائن حي

يُعدّ أعلى سدّ في تركيا، ويبلغ ارتفاعه 249 مترًا، وسدّ قرمان أرمنك بارتفاع 218 مترًا، وسدّ عدنان مندرس الذي يُعدّ حلم إيجة منذ 141 سنة، وسدّ دالامان أق كوبري، كما أُنجز سدّ إليصو وكان من المشروعات الصعبة، وقد تابعت أمورها شخصيًّا خلال فترة وزارتي. وكان مشروع 1000 بركة في 1000 يوم الذي بدأناه في عام 2012 وأنجزناه في ثلاث سنوات- إسهامًا مهمًّا في خدمة المواطنين الذي يعيشون في المناطق الريفية.

يُعَدّ الري من الأمور المهمّة في بلدنا الذي يُعدّ بلدًا زراعيًّا. وقد قمنا بزيادة أراضينا الزراعية ولاسيما تلك التي تجري سقايتها بمشروع جنوب شرق الأناضول (GAP) ومشروع شرق الأناضول (EAP) ومشروع سهول قونية (KOP) والمشروعات الإقليمية الأخرى. تبلغ مساحة الأراضي الزراعية التي يمكن ريها بالطرق الاقتصادية في بلدنا 8.5 مليون هكتار، أعددنا 6.5 مليون هكتار أي 77 ٪ منها للسقاية بالطرق الاقتصادية. وقد حقّقنا من خلال إعداد هذه المساحات للري الاقتصادي زيادة سنوية في الدخل الزراعي بمبلغ 32 مليار ليرة تركية.

إنّنا جعلنا مسألة مياه الشرب أولوية لنا، فأعددنا الخطة لتوفير متطلبات جميع مدننا من مياه الشرب حتى عام 2040 و2050، بل وحتى عام 2071. وقد أنشأنا 211 مرفقًا لمياه الشرب، ووفّرنا مياه شرب إضافية لـ43 مليون شخص من المواطنين. كما وفّرنا مياه الشرب في جميع ولاياتنا، بدءًا من ماردين إلى أضنة، ومن شرناق إلى إزمير، ومن سينوب إلى أرضروم، ومن قارص إلى آيدن، وانتهاءً بإسطنبول وغازي عنتاب.

استفدنا من طاقة المياه من أجل توفير حاجاتنا من الطاقة التي تشكّل أحد أهم عناصر عجز الحساب الجاري في بلدنا. وبفضل محطات توليد الطاقة الكهرومائية التي بنيناها، وعددها 534 محطة، ارتفع إنتاجنا من الطاقة من 26 مليار كيلواط ساعي في عام 2002 إلى 98.2 مليار كيلوواط ساعي. كما أصلحنا 4.718 واديًا من أجل الحدّ من خسارة الأرواح والأموال الناتجة عن الفيضانات. وكانت إصلاحات الوديان العابرة للمدن إصلاحًا تجميليًّا، إذ جعلناها مع التنظيمات البيئية بمثابة القلادة لمدننا.

ومن أجل توفير استخدام المياه طوّرنا طريقة جديدة للإدارة المائية في عام 2011. ففي جميع أنحاء العالم، يجري التعامل مع الماء بوصفه حوضًا واحدًا؛ لذلك أنشأنا الإدارة العامة لإدارة المياه في عام 2011. كما أنشأنا المعهد التركي للمياه (SUEN) من أجل متابعة شؤون المياه عالميًّا، وتمثيل تركيا على المستوى الدولي. وأعددنا مشروع قانون شامل للمياه من أجل الاستفادة الرشيدة من مصادر المياه في بلدنا.

pdfelement

Remove Watermark Now

الماء مصدر إستراتيجي:

إن كـون المـاء مصـدر الحيـاة الكائنـات الحيـة كافة، والمـورد الاقتصـادي للتنميـة والنمو الاقتصـادي، والضـمان لاسـتمرارية النظـام البيئي – يجعله مـن أهم الموارد الإسـتراتيجية، إذ تحول الماء في أيامنا إلى سـلعة تجارية بسبب زيادة وتنوع استخدامه خارج نطاق الشرب وقطاع الزراعة. واسـتهلاك البلاد للماء يشير إلى معدل نمو ذلك البلد. وقد شهد العالم زيادة كبيرة في عدد السكان، ولاسيّما مع زيادة الإنتاج والتحضّر بعد الثورة الصناعية.

مصادر المياه واستهلاك الماء في العالم:

يبلـغ معـدل مصادر الميـاه العذبة 3 ٪ فقط من مصادر المياه التي كانت السـبب في تسـمية الأرض بالكـرة الزرقاء، كما أن الموارد المائية المتاحة للاسـتخدام محـدودة للغاية، وغير موزعة بالتسـاوي على سـطح الأرض. يوجد في العـالم 35 مليون كم3 من المياه العذبـة. وكمية المياه العذبـة التـي يمكن اسـتخدامها تقنيًّا واقتصاديًّا هي 9 آلاف كم3 فقط. كما أن نسـبة 1 ٪ من المياه العذبة القابلة للاسـتخدام في العالم ليسـت متوازنة تمامًا من حيث عدد السـكان وموارد المياه.

تضمّ القارة الآسيوية 60 ٪ من سكان العالم، إلى جانب 36 ٪ من مصادر المياه الموجودة في العالم، بينما يضم جنوب القارة الأمريكية 8 ٪ من سكان العالم إلى جانب 15 ٪ من مصادر المياه في العالم. إنّ من حق كل إنسان الوصول إلى ما يكفيه من الماء العذب، غير أن مصادر المياه محدودة للغاية.

سـد بحيرة أرتويـن أعلى سـدّ في تركيا ويبلغ ارتفاعه 249 مترًا وسدّ قرمان أرمنك بارتفـاع 218 متـرًا وسدّ عدنـان مندرس الذي يُعدّ حلـم إيجة منذ 141 سنة وسدّ دالامان أق كوبري كما أُنجز سدّ إليصو وكان من المشروعات الصعبة

يعـاني 1.7 مليـار شـخص في العـالم مشـكلةَ ميـاه الـشرب، وهنـاك 400 مليـون طفـل محرومـون مـن الحصول على ماء الشرب العذب، ويتسـبب الماء الملوّث في إصابة 25 ألف شـخص تقريبًا بالمـرض يوميًّا. فالماء هو الحاجة التي ازداد الإحساس بأهميتها في العالم اليوم، وأصبح الإدراك بالتكاليف التي تترتب على نقصه أكثر. يشـكّل الماء جـزءًا لا يتجزأ مـن كثير من النشـاطات في حياة الإنسـان، واستخدامه بكفاءة وانتظام يشكّل علامة فارقة على طريق مكافحة ندرة المياه. والصراع مع ندرة المياه يعني توفير الحاجات الإنسانية في وئام مع الطبيعة، وهذا يتطلّب حماية مصادر المياه واسـتخدامها بشكل يحقّق أعلى درجات الفائدة. كان الإنتاج الزراعيّ هو المجال الوحيد الذي يستخدم فيه الماء من حيث زيادة الإنتاجية قبل الثورة الصناعية. ففي هذه الفترة، كان اسـتخدام المياه بوصفه مصدرًا للطاقة لا يعني أكثر من تدوير المطحنة. وكان يجري توفير مياه الشرب والتنظيف من مصادر المياه العذبة.

في العـالم المتنامي والمتطور يسـعى الإنسـان إلى زيـادة الدخل الذي يحصل عليـه من التربة وتوليد الكهرباء من خلال السيطرة على الماء بواسطة السدود ومرافق التخزين لغاية الري من

Remove Watermark Now

ناحيـة، ويبحث عن طرق زيادة كمية المياه التي يمكن الاسـتفادة منهـا من ناحية أخرى. وإذا نظرنا اليوم نرى أن 70 ٪ من مصادر المياه في العالم يُسـتخدَم لأهداف زراعية و19 ٪ منها في الصناعة و11 ٪ منها للشرب والاسـتخدام الشـخصي. يعاني 80 دولة تضمّ 40 ٪ من سكان العالم من مشكلة شحّ المياه منذ اليوم.

في السنوات الخمسين الأخيرة: ازداد عدد سكان العالم بمقدار 2.5 ضعف، وازداد استهلاك الميـاه بمقـدار 4.5 ضعف، ومن المنتظر أن يزداد الطلب على الماء حتى عام 2050 بمعدل 55 ٪، وسـوف يـزداد الإنتـاج الغذائي بمعدل 69 ٪ لسـد حاجات زيادة السـكان الغذائية حتى عـام 2035. وعند النظر إلى مصادر المياه في الدول نجد أن الدول أصناف؛ فهناك الدول التي يتجاوز نصيب اسـتهلاك الفرد فيها من الماء كمية 10.000 م3 سـنويًّا وتُسـمَّى الدول الغنية بالمياه، أو يكون نصيب الفرد فيها بين 3000 و10.000 م3 وتُسمَّى الدول المكتفية بالماء، أو يكـون نصيب الفرد ما بين 1000 و3000م3 وتُسـمَّى الدول التي تعاني مشـكلة في المياه، أو يقلّ نصيب استهلاك الفرد من الماء فيها عن 1000 م3 سنويًّا، وتُسمَّى الدول الفقيرة بالماء.

يبلغ نصيب الفرد في تركيا من اسـتهلاك الماء 1.383 م3 سـنويًّا، وهي بذلك ليسـت من الـدول الغنيـة بالمياه، ويمكنهـا أن تكتفي ذاتيًّا إذا أدارت مياهها بطريقة راشـدة واسـتهلكتها بشكل منتظم يضمن لها الاستمرار.

وضع المياه في الشرق الأوسط:

المياه ذات أهمية إسـتراتيجية، وهي المسـألة الأكثر إسـتراتيجية في الشرق الأوسط. يمتلك الشرق الأوسـط المخزون الأكبر من احتياطي البترول العالمي، ومن الصعب التصريح بالقول نفسـه بالنسـبة للماء. فأوضاع بلاد الشرق الأوسـط صعبة للغاية بالنسـبة لمصادر المياه، حيث تعـاني دول كثـيرة مثـل مـصر وإيـران والعـراق والأردن والكويـت وليبيـا والمملكـة العربية السـعودية وتونـس والإمـارات العربية المتحدة واليمن والبحرين شـحًّا في الميـاه. وتوفّر دول الشرق الأوسـط حاجاتها من المياه من أربعة مصادر رئيسـة كبيرة؛ 60 ٪ من أحواض مصادر هذه المياه تتجاوز حدود البلاد، وتستخدم عدة دول هذه المصادر، وتُسمَّى هذه المصادر بالمياه العابرة للحدود.

وفيما يأتي مصادر هذه المياه وأوضاع استخدامها:

- نهـر النيل: تسـتعمل مياهَـه مصر، ودول شـمال إفريقيا المجاورة الأخـرى: إثيوبيا والسودان وكينيا وأوغندا وتنزانيا وبوروندي ورواندا وزائير.
- نهر الأردن: تستعمل مياهَه (إسرائيل) والأردن وفلسطين.
- نهر العاصي: تستعمل مياهَه لبنان وسوريا وتركيا.
- نهرا الفرات ودجلة: تستعمل مياهَه تركيا وسوريا والعراق.

pdfelement

Remove Watermark Now

تتبـوَّأ الميـاه أهميـة حيويـة في منطقـة الشرق الأوسـط، وتقـع تركيا في واحدة مـن أكثر المناطـق إشـكالية في العالم مـن حيث الموارد المائية. ومشـكلة العجز المائي ليسـت محصورة في الـشرق الأوسـط، لكن يمكـن أن نصفه بالمنطقـة الأكثر فقرًا من حيـث مصادر المياه في النصف الجنوبي للكرة الأرضية. وبالنسـبة للنصف الشـمالي للكرة الأرضية فوضعه أفضل مـن حيـث مصادر الميـاه، إلا أن المنطقة الأشـد حالة هي منطقة الشرق الأوسـط. وظاهرة الاحتبـاس الحـراري العالميـة وتغيّر المنـاخ والبنيـة الجغرافيـة للشرق الأوسـط والحروب والحـوادث الإرهابيـة في المنطقة جعلت المياه أكثر إسـتراتيجية في هذه المنطقة، كما أن زيادة السـكان وزيادة اسـتهلاك الفرد للماء منحتا الماء وضعًا أكثر أهمية وإسـتراتيجية. والمصالح الوطنيـة القائمـة بـين دول المنطقـة والنزاعـات التقليديـة والتحـضّر والتحـوّل الصناعـي المشـوه- تزيد المشـكلة عمقًا.

وتثـير الـدول الفقـيرة بالمياه موضوع الاسـتفادة من مصادر ميـاه الدول التـي تعدّها غنية بالنسـبة لهـا من حيـث مصادر المياه. كما تحـدث خلافات كبيرة بين الدول التـي تعبرها الأنهار العابرة حول اسـتخدام مياه هذه الأنهار. ولهذا السـبب، يتمّ إنتاج سـيناريوهات حروب المياه بـين الحـين والآخر. وأوضاع تركيا وسـوريا والعراق ولبنان من حيث المياه هي أحسـن حالًا مقارنة بالدول الأخرى في الشرق الأوسـط. وأوضاع كل من الأردن و(إسرائيل) والسعودية ودول الخليج بالمقابل أكثر فقرًا من حيث مصادر المياه.

إننـا في تركيـا ننهج سياسـة تدعو إلى اسـتخدام المياه بصـورة عادلة ومنصفـة، ونولي أهمية لنهـري الفـرات ودجلة الموجوديـن في شرق وجنوب شرق البلاد، لا فـرق في ذلك بين تركيا والبلاد التي يعبرانها على حدّ سواء. ويعدّ مشروع جنوب شرق الأناضول -ويرمز له باختصار GAP- من أكبر مشروعات التنمية الريفية في البلاد، ونقوم من خلاله بترشيد استهلاك المياه بأفضل صورة، إلى جانب الحفاظ على حقوق دول المصب.

وعنـد النظـر إلى طبوغرافيـا بلادنـا نجـد أن الوديان مناسـبة جـدًّا لإقامة مرافق السـدود والتخزيـن عليهـا؛ لكونها ضيقـةً وعميقةً ، كـما أن التبخّر المنخفض يمنح ميـزة كبيرة أخرى. ومن خلال السـدود التي أنشأناها في البلاد توفرت لدينا إمكانية تخزين المياه في مواسم هطول الأمطار لاستهلاكها في مواسم الجفاف وانخفاض الهطول.

إن إقامة سدّ كبان وسد قره قايا وسد أتاتورك والسدود الأخرى في منطقة مشروع GAP بالغة الأهمية لبلدنا ولبلدان المصبّ على حدّ سواء. وقد أُضيف إلى هذه السدود سد إليصو في نهاية المطاف، إذ انتهى بناء هذا السد المهمّ لبلدنا وللمنطقة وبدأ تخزين المياه وراءه.

إن زيادة الهطول في بعض المواسم كما هو الحال في 2019 قد تتسبب في حدوث الفيضانات. والمياه التي تُحبَس وراء السدود التي أُنشِئَت تمنع حدوث الفيضانات نوعًا ما في كلّ من سوريا والعـراق. كـما أن تخزين المياه وراء السـدود يوفّر لنا إمكانية تقديم الميـاه الموعودة بطريقة أكثر سهولة في مواسم الجفاف.

Remove Watermark Now

علاقاتنا مع العراق بشأن المياه:

لـو أردنـا أن نقيّم المياه التي تتجـاوز حدود تركيا لأمكننا الحديث عـن نهر دجلة والفرات وجـوروه وآراس ومريج والعاصي. أما نهرا مريج والعـاصي فينبعان من دول الجوار ويصبّان في بلدنـا، في حـين ينبع نهر دجلـة والفرات وجوروه وآراس من بلدنـا وتتدفق إلى دول الجوار مغادرة حدودنا. تشكل مياه الأنهار التي تتجاوز حدودنا حوالي 38 ٪ من إجمالي المياه في بلدنا. ويُعـدّ نهرا دجلـة والفرات أكبر الأنهار التي تتجاوز حدود بلدنا، حيث تشـكل سـعة مياههما الإجمالية 31 ٪ من إجمالي سعة المياه في بلدنا.

ينبـع نهـرا دجلة والفرات من بلدنا، ويلتقيان عند مدينـة "القرنة" في العراق، ويكوّنان معًا شطّ العرب الذي يصبّ في خليج البصرة (الشكل 1).

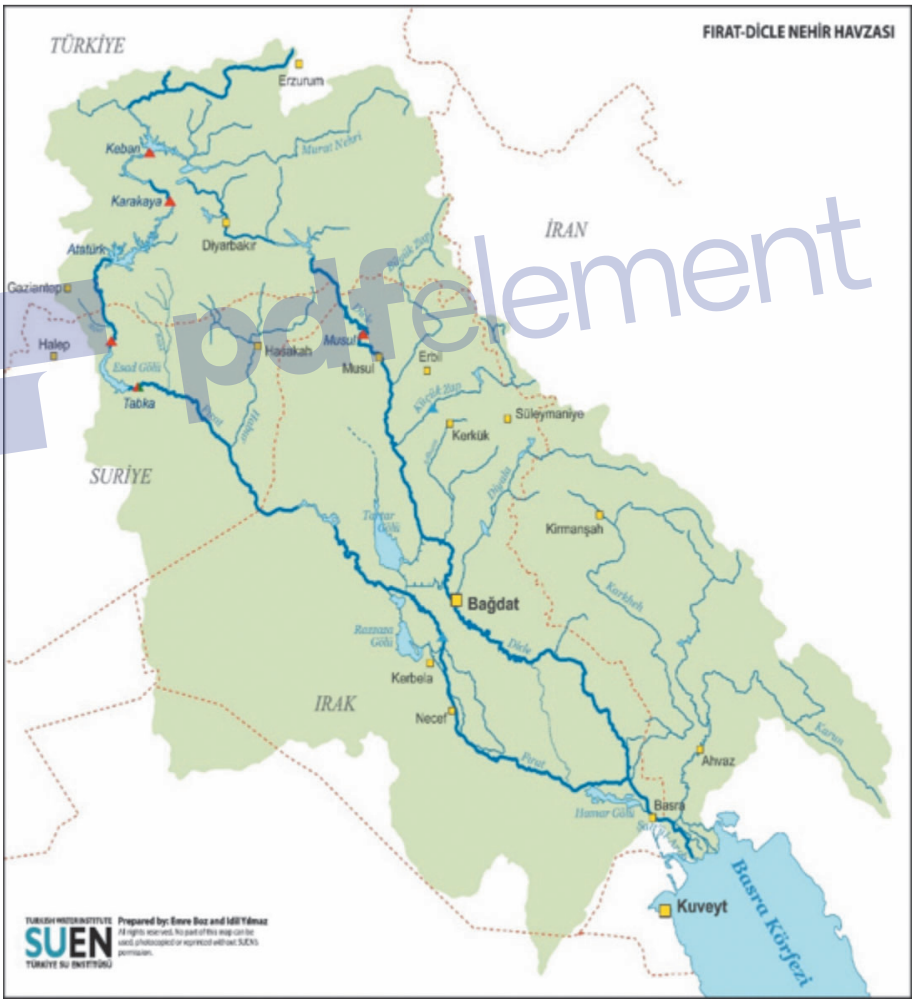

الشكل 1: حوض نهري دجلة والفرات

كانت تركيا ولا تزال الدولة التي تستخدم المياه بشكل عادل ومعقول، وتتواصل مع جيرانها في هذا المجال، وتقوم علاقتنا فيما يتعلق بالمياه مع دول الجوار- ولاسيما العراق- على أساس التفاهم والاحترام المتبادل.

فالمحادثات ذات الصلة بتطوير مياه نهر دجلة بين تركيا والعراق بدأت باتفاقية علاقات الصداقة وحسن الجوار المبرمة عام 1946. والبروتوكول المتعلق بالمياه الوارد ذكرها أسفل الاتفاقية يطرح مطالب كل من البلدين بشأن دجلة، ويشير إلى بنى التحكّم بالفيضانات، والآثار الإيجابية للخزانات التي ستُبنَى على الأراضي التركية.

وبسبب المخاوف المتعلقة بعدم تلبية مطالبها بمياه الري وعدم وصول القدر الكافي من المياه إليها في موسم الري، طالبت سوريا والعراق بتوقيع اتفاقيات تنصّ على توزيع المياه بشكل عادل بين كل من سوريا والعراق وتركيا، منذ الستينيات التي شهدت بدء تشييد السدود في تركيا في إطار مشروع جنوب شرق الأناضول (GAP) إلى اليوم.

يتعهد بروتوكول 1987 الموقّع بين تركيا وسوريا على أن يترك الجانب التركي الفائض عن المتوسط السنوي لتدفق المياه والبالغ 500 م3/ الثانية من الحدود التركية السورية في أثناء ملء سدّ أتاتورك وحتى يتمّ "التخصيص النهائي" لمياه الفرات. وفي حال انخفاض التدفق الشهري إلى ما دون 500 م3/ الثانية سيعمل الجانب التركي على تلافي الفارق في الشهر المقبل. ومع الاتفاقية المبرمة عام 1990 بين سوريا والعراق تقرّر أن تستعمل العراق 58 ٪ من المياه المتدفقة من الحدود التركية السورية، وأن تستعمل سوريا 42 ٪ من تلك المياه.

وفي 15 تشرين الأول عام 2009 جرى توقيع محضر اتفاقية في مجال المياه مع العراق، وجُدِّدت بعض مواد هذا المحضر بتاريخ 25 كانون الأول 2014.

وعقدت تركيا وسوريا والعراق أكثر من 20 اجتماعًا للجان الفنية منذ الثمانينيات إلى اليوم. في هذا السياق، نُوقِش بشكلٍ أساسيّ تبادل بيانات الأرصاد الجوية والهيدرولوجية، وتعديل شؤون جمع البيانات، وآلياتً المعايرة.

إضافة إلى ذلك، نُظِّم عدد كبير من برامج تبادل المعلومات وتطوير القدرات، حضرها مشاركون من البلدان الثلاثة. تركزت هذه البرامج بشكل أساسيّ على إدارة وتخطيط الموارد المائية، وأنظمة الري المضغوطة، وإعادة استخدام مياه الصرف الصحي في الري، والنمذجة الرياضية للمياه الجوفية، وأنظمة المعلومات الجغرافية، واستصلاح الأراضي ودراسات الاستخدام، وتقنيات بناء السدود. وكانت مشروعات المياه الصالحة للشرب الكبيرة التركية، ونقل المياه من حوض إلى آخر، وسلامة السدود؛ بين العناوين التي نوقشت في برنامج تبادل المعلومات.

Remove Watermark Now

يتعهد بروتوكول 1987 الموقّع بين تركيا وسوريا على أن يترك الجانب التركي الفائض عن المتوسط السنوي لتدفق المياه والبالغ 500 م3/الثانية من الحدود التركية السورية في أثناء ملء سدّ أتاتورك وحتى يتمّ "التخصيص النهائي" لمياه الفرات

إن سياسات كل من تركيا والعراق وسوريا –وهي البلدان المطلة على حوض نهري دجلة والفرات– تتشكل في إطار سعيها إلى الاكتفاء ذاتيًّا في مجال الزراعة. وتتزايد الضغوط على موارد المياه تدريجيًّا بسبب الطلب على مياه الري، وارتفاع عدد السكان، وغيره من المطالب ذات الصلة بالموارد البشرية. إضافة إلى ذلك، يشكّل تغير المناخ عنصر ضغط بالغ الأهمية بالنسبة للحوض.

إن توزيع الأمطار في حوض دجلة والفرات بحسب الزمان والمكان ليس متجانسًا. 90 ٪ من مياه الحوض تتكون من المياه المتدفقة إثر ذوبان الثلوج التي تسقط في المناطق الجبلية في تركيا. وتمتلئ السدود مع ذوبان الثلوج، وهكذا يمكن تنظيم تدفق النهر بشكل طبيعي. وبهذه الطريقة، يستطيع الحوض أن يضخّ للنهر مزيدًا من المياه وبكميات منتظمة خلال فترة الري، حيث تكون الحاجة كبيرة لمياه الري.

بفضل الآثار التراكمية للسدود التي بدأت العمل في الفرات استطاعت تركيا أن تضخّ عبر حدودها إلى سوريا والعراق كميات أكبر من المياه المتدفقة طبيعيًّا، ولاسيما في الفترة التي تشهد جفافًا كبيرًا، رغم آثار التغير المناخي، وذلك اعتبارًا من عام 1992 الذي كان فيه سد كبان وقره قايا وأتاتورك قيد العمل. وهذه السدود بوظيفتها هذه تُعدّ فرصةً مهمّةً للتغلب على آثار تغيّر المناخ والتي تسبب انخفاضًا في هطول الأمطار وعدم انتظامها.

pdfelement

مبعوث رئيس الجمهورية التركية الخاصّ لحلّ مشكلة مياه العراق:

إلى جانب رفع مستوى التنمية والرفاه في أراضيها، كانت تركيا ولا تزال تريد التنمية والتقدّم لدول الجوار. إذ أعلنت في هذا الصدد أنها ستقدّم للعراق دعمًا تنمويًّا بقيمة 50 مليون دولار أمريكي، وقرضًا بقيمة 5 مليارات دولار أمريكي من أجل القضاء على مشكلة المياه والطاقة والبنية التحتية.

وخلال زيارة الرئيس العراقي برهم صالح تركيا ولقائه برئيسنا رجب طيب أردوغان مطلع عام 2019، نُوقِش التعاون والقضايا المشتركة بين البلدين بالتفصيل. وفي المؤتمر الصحفي الذي نظّمه السيد رئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان مع نظيره العراقي برهم صالح قال: "إن الحفاظ على وحدة الأراضي العراقية ووحدتها السياسية، وتحقيق الاستقرار والأمن يشكلان أساس سياستنا حيال العراق. تركيا مستعدة للإسهام في جميع الجهود الرامية إلى إعادة بناء العراق وتحقيق الاستقرار فيه".

وجاء على لسان السيد الرئيس تذكيرٌ بأنه قام بثلاث زيارات للعراق خلال فترة رئاسته مجلس الوزراء، وأنهم أسّسوا آلية مجلس التعاون الإستراتيجي الرفيع المستوى في العراق لأول

مرة، وذكر أنهم سيكونون ضمن جميع المساعي لتحسين العلاقات في المجالاتكافة مع البلد المجاور العراق.

وخلال المحادثات بين الطرفين جرى تناول عدد من القضايا التي منها محاربة حزب العمال الكردستاني وتنظيم داعش الإرهابيين، والقضايا التجارية. وعيّنني السيد الرئيس مبعوثًا خاصًّا إلى العراق من أجل العمل بنشاط أكبر في مجال المياه الذي يُعدّ مهمًّا جدًّا بالنسبة لكلا البلدين، ولحلّ مشكلات المياه العراقية بالتعاون مع العراق، وبالمقابل طلب من الجانب العراقي تعيين مبعوث خاص نظير.

باشرتُ عملي، وشمّرت ذراعي لوضع خطة عمل لحل مشكلات العراق فيما يخصّ المياه، وذلك لأنني نفّذت أعمالًا مهمّة في مجال المياه خلال ربع القرن الماضي. فالتقينا بالوزارات ذات الصلة، وشكّلنا مجموعة عمل تتكوّن من حوالي 50 مختصًّا في هذا المجال. يضاف إلى هذه المجموعة مجموعات عمل فرعية، وقد بلغ المجموع قرابة 150 شخصًا.

إن أحد أهم شروط النجاح في العمل هو التخطيط، ولا شكّ أنّ أسوأ الخطط أفضل من عدم التخطيط. ومن هنا عندما عيّنني رئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان مبعوثًا خاصًّا إلى العراق، بدأنا على الفور بإعداد خطّة عمل مع زملائنا المختصين في هذا المجال.

أعددنا خطّة عمل مفصّلة حول من سيفعل وماذا سيفعل وأين ومتى سيفعل. ومن خلال خطة العمل هذه التي أعددناها باللغات التركية والإنكليزية والعربية، أكّدنا أننا منفتحون على

Remove Watermark Now

التعاون اللازم لتحقيق الاستخدام الأمثل للمياه والموارد المائية في العراق. ونحن بصفتنا نمثّل تركيا نعتقد أن الماء عنصر مهمّ للغاية في سبيل تنمية كلّ من البلدين.

تعيين مجال الفعاليات المهمّة:

تربطنا بالدولة الشقيقة والصديقة العراق روابط تاريخية عميقة، ونتشارك وإياها المياه، حيث إنّ حوالي 70 ٪ من مياه نهري دجلة والفرات التي تمنح الحياة للعراق تنبع من تركيا. ومن هنا فإننا نُعِير أهمية للاستخدام المستدام لموارد المياه العراقية بأفضل طريقة ممكنة.

في الاجتماعات التي عُقِدَت مع مجموعة العمل، نُوقِشت جميع الفعاليات التي يمكن تنفيذها مع العراق من أجل تطوير إدارة المياه في حوض دجلة والفرات، واستكمال نواقص البنية التحتية. وبالنظر إلى مشكلة المياه في البصرة والطلبات الواردة في هذا الشأن، فقد حُدِّدت الأعمال التي يمكن إجراؤها سريعًا في هذه المنطقة.

نحن نُعِير الصحة العامة لإخواننا العراقيين أهمية كبيرة، ونحرص على حصولهم على مياه الشرب الصالحة للاستعمال، والوقاية من الأمراض الناجمة عن المياه، إضافة إلى تطوير البنية التحتية الحديثة للري، وضمان كفاءة الري. وعند النظر إلى استخدام العراق لموارد المياه، يُلاحَظ أنها بحاجة لتطوير موارد المياه، وتحسين البنية التحتية للري الزراعي.

يُستعمَل القسم الأكبر من المياه في العراق والذي يُقدَّر بحوالي 90 ٪ في الري، ولكن هذا الري غير منتج، ويستهلك قدرًا كبيرًا من المياه. وكفاءة أنظمة الري منخفضة للغاية، وخسارة قنوات الريّ التي معظمها ترابية في أوجها، وهناك خطر تملّح التربة. ولهذا من الضروري تحديد مناطق الري الاقتصادية في العراق، والتحوّل إلى أنظمة الري الحديثة. ولهذه الغاية، يمكن التعاون بين تركيا والعراق، والانتقال إلى أنظمة الري الحديثة، علمًا أن تركيا لديها معرفة وخبرة كبيرة في هذا الموضوع.

أعمال في مجال تبادل المعلومات وتطوير القدرات:

تحمل الأعمال في مجال تبادل المعلومات وتطوير القدرات أهميةً كبيرةً لأجل ديمومة الأعمال التي ستجري بين البلدين. وبلدنا مستعدّ للقيام بتطوير قدرات المختصين والمهندسين والموظفين الفنيين العراقيين. وقد أعدّت وحداتنا ذات الصلة عروض برنامج تطوير القدرات، يمكن تنفيذها في مجال إدارة المياه ومياه الصرف الصحي، وتقنيات التنقية، وتصميم محطات التنقية، وطرق الري الحديثة، وهيدرولوجيا تشغيل السدود، وقضايا الطاقة. ويرغب بلدنا في البدء سريعًا بهذه البرامج بمشاركة وفود الخبراء التي سيجري تحديدهم وفقًا لاحتياجات العراق. ونحن على يقين أن خلق ثقافة العمل المشترك بين تركيا والعراق في موضوع المياه، وتحقيق التعاون، يعنيان ضمان مستقبل المنطقة. وقد قام بلدنا بالاستعدادات المطلوبة لزيادة

Remove Watermark Now

التعاون بين تركيا والعراق في موضوع المياه. وفي هذا الصدد قمنا بزيارة رسمية لبغداد مع وفد مكون من 16 شخصًا في 31 تموز 2019.

خلال هذه الزيارة، أُجرِيَت لقاءات ثنائية مع رئيس الجمهورية برهم صالح، ورئيس الوزراء عادل عبد المهدي، ووزير الموارد المائية جمال عادلي، وعُقِدَت اجتماعات بين الوفود. وقد أعربنا عن استعدادنا لتحويل إرادتنا السياسية الموجّهة لتطوير التعاون في مجال المياه بين البلدين بناء على "خطة عمل التعاون بين تركيا والعراق في مجال المياه" إلى عمل ملموس في إطار خريطة طريق.

في المقابل رحّب الرئيس برهم صالح ورئيس الوزراء عادل عبد المهدي بخطّة العمل التي أُعِدّت، وأعربا عن سعادتهما لبدء الحوار من أجل التعاون. ووضّحنا خلال اللقاءات أهمية تحديد الموارد المائية، وإنشاء شبكة قياس مشتركة، وتحديد احتياجات البلدين من المياه؛ كي تُستعمَل مياه دجلة والفرات بشكل عادل ومنصف، ولتكون محركًا للتنمية في كلا البلدين. وتقرّر أن يكون شهر أيلول بداية انطلاق برامج تطوير القدرات وتبادل المعلومات والخبرات التي ستقام في تركيا، لتطوير التعاون بين تركيا والعراق، على أن تستمرّ هذه البرامج حتى نهاية العام. وأول وفد من العراق جاء إلى تركيا في 9 أيلول 2019. علاوة على ذلك، اتفق الطرفان على أنّ اتخاذ الخطوات الملموسة المهمّة إلى حين زيارة رئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان إلى العراق في نهاية العام- يُعَدُّ قرارًا إستراتيجيًّا مشتركًا لكلا البلدين. وبغرض تطوير الموارد المائية في الحوض نُظِر في إمكانية تأسيس مركز مشترك في بغداد باسم "مركز الأبحاث التطبيقية للموارد المائية التركية العراقية"، بحيث يعمل فيه المختصون، والعلماء الأتراك والعراقيون، ويجري تبادل المعلومات والخبرات والتكنولوجيات وتقديم التعليم النظري .والعملي متخذين الإدارة المتكاملة للموارد المائية أساسًا.

أملنا هو استخدام المياه بصورة عادلة ونزيهة بين البلدين، وجعلها وسيلة للصداقة بينهما. ولدينا إيمان راسخ بأن مشكلة المياه في العراق ستُحَلّ من خلال التعاون والعمل المشترك بين البلدين.

الدعم الكبير لا نقدّمه للعراق فحسب، بل نقدّمه للدول الأخرى أيضًا:

لم يتردّد بلدنا أبدًا في مشاركة مياهها مع دول الجوار، عمًلا بإيمانه بأن الحصول على المياه السليمة والنظيفة حقّ طبيعيّ لجميع البشر. وبلدنا مستعدّ أن يتشارك خبراته ومعارفه مع جميع البلدان المحتاجة، وفي مقدمتها بلدان الجوار. وفي هذا الصدد، أوصلنا مياه الشرب إلى جمهورية شمال قبرص التركية (KKTC) عبر مشروع تأمين مياه شرب KKTC الذي نسميه باسم "مشروع القرن"، وحلَلْنا بذلك أحد أهم مشكلاتها، وهي مشكلة مياه الشرب. وجعلنا برج "ألاكوبرو" الذي شيّدناه في الجانب التركي، وسدود "غجيت كوي" التي أنشأناها في جمهورية

Remove Watermark Now

شـمال قبرص التركية- يجتمعان مع خط الإسـالة العملاق بعمق 250 مترًا في البحر، وبطول 107 كيلومـترات؛ 80 كيلومـترًا منـه داخل البحـر. وقد افتتح مـشروعَ مياه شرب KKTC السيدُ رئيس الجمهورية في 17 تشرين الأول 2015.

يُضَـخّ عـبر هذا المشروع 75 مليون م3 من المياه سـنويًّا إلى جمهورية شـمال قبرص التركية. وتجدر الإشارة إلى أن هذا المشروع هو الفريد من نوعه في العالم، حيث أمّن وصول مياه الشرب إلى سـكان جمهورية شـمال قبرص التركية بعد الانتهاء من تشـييد خط التوزيـع الرئيس بطول 529 كيلومترًا ،ومرافق تنقية المياه في هذه الجمهورية.

إن الميـاه التـي قمنـا بضخها إلى جمهورية شـمال قبرص التركية سـوف تؤمن ري السـهول الخصبة، إلى جانب حل مشكلة مياه الشرب.

أعمال تأمين المياه في إفريقيا:

في إفريقيـا أيضًـا قام بلدنا ولا يـزال يقوم بعدد كبير من الفعاليـات لتأمين مياه الشرب، إذ أوصـل ميـاه الشرب إلى حوالي مليوني شـخص من خلال الآبـار التي حَفرتهـا المديرية العامة لشؤون المياه في الصومال وبوركينا فاسو والنيجر وموريتانيا ومالي، ولا تزال الأعمال مستمرة بالتنسيق مع وكالة التعاون والتنسيق التركية (تيكا).

كما أنّنا نبني سدًّا في جيبوتي بناءً على تعليمات السيد رئيس الجمهورية، وشارفنا على الانتهاء من بناء سـد الصداقة في جيبوتي، وبفضل هذا السـّد الذي شـيدناه في هذه المنطقة التي تشـهد فيضانات شديدة، لن يكون هناك خسائر في الأرواح والممتلكات.

خاتمة

تبقـى الميـاه في النهاية مصدر الحيـاة لجميع الكائنات الحيـة، ومـوردًا قيّمًا جـدًّا تجب إدارته بحكمـة، إذ ينبغـي علينـا أن نقيّم مواردنا المائية تقييمًا جيدًا من أجـل أن نترك للأجيال القادمة بيئة سـليمة قابلة للعيش، ونسـتعمل المياه بدون هدر. كما تتعين علينا الاسـتفادة القصوى من موارد المياه المحدودة، ويجب أن نسـتفيد من مواردنا المائية مع الإدراك أن هذه الموارد الطبيعية هي موارد مشـتركة للعالم بأسره، لا لدولة دون أخرى، اعتمادًا على مبدأ الاسـتدامة من خلال سياسة التشارك.

وربما يتعين علينا اسـتخدام الموارد المائية والتكنولوجيا بشـكل واع ومشاركتها مع البلدان المحتاجة- كي لا تواجه الأجيال المقبلة مشكلة تأمين المياه حتى لو لم تكن تشكّل اليوم مشكلة كبيرة بالنسـبة لنا. ولا توجد مشـكلة في المياه إلا ولها حلّ إذا كان هذا الفهم الذي تتبناه تركيا قائمًا، سـواء في دول المنطقة أم في دول العالم. وكما أسـلفت فإنّ الحرب لا تندلع بسـبب المياه، لكنها قد تندلع لأسباب ذات صلة بالمياه. وأخيرًا، نرجو أن تُستعمَل هذه الموارد الطبيعية التي وهبها الخالق العليّ للبشرية بشكل منصف.

pdfelement